

مستويات التحليل في العلاقات الدولية

يتمحور تحليل العلاقات الدولية حول مشكلة مستويات التحليل، التي تهدف إلى تحديد العوامل السببية والكيانات الاجتماعية ذات الصلة بفهم السياسة العالمية وترتيب أولوياتها. تتجلى هذه المشكلة عمومًا في شكلين متميزين:

- ❖ إما كسؤال حول القوة النسبية لفئات مختلفة من العوامل التفسيرية *l'approche waltzienne* "des "images"،
- ❖ أو كسؤال حول العلاقة بين التحليلات التي تركز على كيانات أو تجمعات اجتماعية مختلفة *l'approche singerienne des "unités d'analyse"*.

أولاً: مستويات التحليل كمعامل تفسيرية (الصور)

يُميز النهج الأشهر، الذي روج له كينيث والتز، بين فئات مختلفة من العوامل، أو "الصور"، التي تُسبب الحروب:

1. **صورة الفرد (الطبيعة البشرية):** يدرس هذا المستوى سمات البشر، مثل عدوانيتهم الفطرية أو خصائصهم النفسية، لتفسير النزاعات. يُعتبر الفرد الوحدة الأساسية للتفسير، إذ هو صانع القرار على جميع المستويات. في دراسة أسباب النزاعات، يشمل هذا المنظور المستويات البيولوجية والفسولوجية والنفسية.
2. **صورة الدولة (المستوى المحلي أو الوحدوي):** يُركز هذا المستوى على الخصائص الداخلية للدولة أو الأنظمة السياسية، مثل النظام السياسي (الديمقراطية مقابل الاستبداد)، والأيديولوجيا، أو الهياكل الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع. مع ذلك، يميل الواقعيون والواقعيون الجدد إلى التقليل من أهمية هذه المتغيرات الداخلية، مفضلين تجريد الظواهر الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمعات للتركيز على البنية الخارجية.
3. **صورة النظام الدولي (الفوضى):** يدرس هذا المستوى بنية النظام العالمي نفسه. أكد والتز على أولوية هذه الصورة الثالثة، مفترضًا أن غياب السلطة العليا (الفوضى) هو السبب الأساسي والمستمر للصراع وصراعات القوة. يشمل هذا المستوى أيضًا العوامل الدولية والعالمية/البيئية التي تؤثر على الصراع.

ثانيًا: مستويات التحليل كوحدات تحليل

يركز نهج ج. ديفيد سينجر على الكيان أو التجمع الاجتماعي الذي يُعدّ موضوعًا للوصف أو التفسير أو التنبؤ. تقع هذه الوحدات على مقياس منظم من حيث الحجم والتعقيد:

- ❖ **الفرد والدولة:** يُشكل الأفراد والدول (الفاعلون التقليديون) الوحدات الأساسية.
- ❖ **المستوى الثنائي:** يدرس هذا المستوى العلاقات بين أزواج الدول. وقد أثبت التحليل الثنائي فعاليته بشكل خاص في تحليل السياسة الخارجية واندلاع الحروب، لا سيما في إطار فرضية "السلام الديمقراطي".
- ❖ **المستوى النظامي أو الكلي:** يتعلق هذا المستوى بمجموعات كبيرة من الدول، مثل النظام الدولي بأكمله. يمكن أن يُشكل التجميع وحدة تحليل، حتى لو لم يكن لديه أهداف أو سلوكيات محددة لتفسيرها.

ثالثاً: مشاكل التكامل ووجهات النظر البديلة

يُعد التمييز بين هذه المستويات أمراً بالغ الأهمية، إذ يثير تحديات منهجية:

- ❖ **تكامل العوامل التفسيرية:** إذا اعتبرنا المستويات "موضّعاً" بسيطاً للعوامل السببية (نهج والتر)، فإن التكامل يكون بسيطاً نسبياً ويتضمن تضمين متغيرات من مستويات تجميع مختلفة في النموذج التحليلي نفسه.
- ❖ **تباين النتائج:** إذا درسنا المستويات ككيانات اجتماعية منفصلة، فليس من الضروري منطقياً أن تكون العلاقات التجريبية المرصودة متسقة عبر المستويات. قد يختلف الارتباط على المستوى الثنائي (مثل السلام بين نظامين ديمقراطيين) عن الارتباط المرصود على المستوى الوطني أو النظامي.

هناك مقارنة بديلة، متأثرة بالماركسية والنظرية النقدية (مثل نظرية روبرت كوكس)، يتصور البنية الاجتماعية التاريخية على عدة مستويات مترابطة، بدلاً من الاختصار على ثنائيات الفاعل/النظام التقليدية:

1. **القوى الاجتماعية:** هياكل أساسية تتشكل من خلال علاقات الإنتاج والطبقة.
2. **أشكال الدولة:** طريقة تشكيل الدول، الناشئة عن العلاقة بين الدولة والمجتمع.
3. **النظم العالمية:** تشكيل القوى السياسية التي تحدد الحرب أو السلام بين الدول.